

الوافي في الوفيات

- فأطاع البلى فصار خليعاً ... ليس يُعطي الرفاءً في الرفو طاعه° .
فإذا سائلُ رآنيَ فيه ... طنُّ أنِّي فتىً من أهل الصناعه° .
وقال فيه أيضاً من الرمل : .
طيلسانُ لابن حربٍ جاءني ... خلعةً في يوم نحسٍ مستمر° .
وإذا ما صرحت فيه صيحةً ... تركته كهشيم المحتضر° .
وإذا ما الريح هبت نحوه ... طيرته كالجراد المنتشر° .
مُهطعُ الداعي إلى الرافي إذا ... ما رآه قال : ذا شيء نُكُـر° .
فإذا رفأؤه حاول أن ... يتلافاه تعاطى فَعَقَر° .
وقال فيه أيضاً من الخفيف : .
يا ابنَ حربٍ كسوتنذي طيلساناً ... يُزرعُ الرفو فيه وهو سباخ° .
مات رفأؤه ومات بنوه ... وبدا الشيبُ في بنيهم وشاخوا .
وقال فيه من المتقارب : .
أيا طيلسانيَ أعيتَ طبيي ... أسلُّ جسمك أم داءُ حُبِّـ .
ويا ريحُ صيرتني أتقيلك ... وقد كنتُ لا أتقي أن تهجبي .
ومُسْتَخبرُ خيبرِ الطيلسان ... فقلتُ له : الروحُ من أمر ربِّي .
وقال فيه من الرمل : .
طيلسانُ لابن حربٍ جاءني ... قد قضى التمزيق منه وطره° .
أنا من خوفي عليه أبدا ... سامريُّ ليس يألو حذره° .
يا ابن حربٍ خذُه أو فابعث بما ... نشترى عجلًا بصَفْرٍ عشره° .
فلعلَّ إِيَّاهُ يحييه لنا ... إن ضربناه ببعض البقره° .
فهو قد أدرك نوحاً فعسى ... قد حوى من علم نوحٍ خبره° .
أبداً يقرأ مَنْ أبصره ... " إذ كذا عظاماً زخيره° " .
وقال فيه أيضاً من الخفيف : .
يا ابن حربٍ أطلت فقريَ بِرفؤي ... طيلساناً قد كنت عنه غنياً .
فهو في الرفو آلُ فرعون في العر° ... ض على الناؤ غُدوةً وعشياً .
زُرتُ فيه معاشراً فازدروني ... فتغنيتُ إذ رأوني زرياً : .
جئت في زيِّ سائلٍ كي أراكم ... وعلى الباب قد وقفت ملياً .

وقال فيه أيضاً من الوافر : .

وهبتَ لنا ابنَ حربٍ طيلساناً ... يزيد المرءَ ذا الضعّة اتّضاعاً .
يسلّم صاحبي فيفيد شتمّي ... لأنّ الروحَ تُكسبه انصاعاً .
أُجِلُّ الطّرفَ في طَرفِ فَيَه طولاً ... وعرضاً ما أرى إلاّ رقاعا .
فلمستُ أشكُّ أنّ قد كان قدّموا ... لنوحٍ في سفينته شراعا .
فقد غديتُ إذ أبصرتُ منه ... جوانبه على بدني تداعي .
قفي قبل التفرّق يا ضاعا ... ولا يكُ مَوْقِفُ منك الوَداعا .

ويقال فيه : إنه عمل في هذا الطيلسان مائتي مقطوع في كل مقطوع معنى بديع . وقيل : إن الحمدوني وقف على أبيات عملها أبو حمران السلمي في طيلسانه وكان قد بلي وهي من البسيط :

يا طيلسانَ أبي حمران قد برّمتُ ... بك الحياةُ فما تلتذُّ بالعمُر .
في كلِّ يومين رؤساءُ يجدّده ... هيهاتَ ينفع تجديدُ مع الكيدِ ؟ .
إذا ارتداه لعيدٍ أو لجُمعته ... تنكبّ الناسَ أن يبلى من النظر .
وذكرت هنا ما كتبه ناصر الدين حسن بن النقيب إلى السراج عمر الوراق من البسيط :
لو فرّ - بغلي من - اصْطبلي لَقلتُ لمن ... يجري وراه : تمهّلْ أيّها الساري ! .
ففي زُقاق سراج الدين موقفُهُ ... أو ذلك الخطّ - أو في حَومة الدار .
وطيلسان ابن حرب قد سمعتَ به ... من طولِ بعثٍ وتردادٍ وتكرار .
فأجاب السراج ونقلتهما من خطه من البسيط :
أفُدي خُطاك ولو كانت على بصري ... لكان في ذاك تشریف لمقداري .
وإنّ دارك صانٍ مالِكها ... أعزُّ عندي من أهلي ومن داري .
وطيلسان ابن حرب في ترددٍ ه ... قلبي إليك من الأشواق في نار